

تفسير البحر المحيط

@ 518 فقال في قصة أوليائه : { وَ مَا كَانَ لِيَ عَ لَ اِيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا -
أَن دَعَوْهُ تُكُْمُ فَاسْتَجَبْتُكُمْ لِي } وقيل : المراد بالسلطان الحجة ، وظاهر الإخبار
انتفاء سلطنته على المؤمنين مطلقاً . وقيل : ليس له عليهم سلطان لاستعاذتهم منه . وقيل
: ليس له قدرة أن يحملهم على ذنب ، والضمير في به عائد على بهم ، وقيل : على الشيطان ،
وهو الظاهر لاتفاق الضمائر والمعنى : والذين هم بإشراكهم إبليس مشركون با ، أو تكون
الباء للسبية ، والأمر بالاستعازة يقتضي أنها تصرف كيد الشيطان ، كأنها متضمنة التوكل
على ا ، والانقطاع إليه . .

ولما ذكر تعالى إنزال الكتاب نبينا لكل شيء ، وأمر بالاستعازة ند قراءته ، ذكر
تعالى نتيجة ولاية الشيطان لأوليائه المشركين ، وما يلقيه إليهم من الأباطيل ، فألقى
إليهم إنكار النسخ لما رأوا تبديل آية مكان آية . وتقدم الكلام في النسخ في البقرة .
والظاهر أن هذا التبديل رفع آية لفظاً ومعنى ، ويجوز أن يكون التبديل لحكم المعنى
وإبقاء اللفظ . ووجد الكفار بذلك طعناً في الدين ، وما علموا أن المصالح تختلف باختلاف
الأوقات والأشخاص ، وكما وقع نسخ شريعة بشريعة يقع في شريعة واحدة . وأخبر تعالى أنه
العالم بما ينزل لا أنتم ، وما ينزل مما يقره وما يرفعه ، فمرجع علم ذلك إليه ، وهو على
حسب الحوادث والمصالح ، وهذه حكمة إنزاله شيئاً فشيئاً ، وهذه الجملة اعتراض بين الشرط
وجوابه . قيل : ويحتمل أن يكون حالاً . وبالغوا في نسبة الافتراء للرسول بلفظ إنما ،
وبمواجهة الخطاب ، وباسم الفاعل الدال على الثبوت ، وقال : بل أكثرهم ، لأن بعضهم يعلم
ويكفر عناداً . ومفعول لا يعلمون محذوف لدلالة المعنى عليه أي : لا يعلمون أن الشرائع
حكم ومصالح . هذه الآية دلت على وقوع نسخ القرآن بالقرآن . وروح القدس : هنا هو جبريل
عليه السلام بلا خلاف ، وتقدم لم سمي روح القدس . وأضاف الرب إلى كاف الخطاب تشريفاً
لِلرَّسُولِ صَلَّى ا عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) باختصاص الإضافة ، وإعرافاً عنهم ، إذ لم يصف إليهم . وبالحق
حال أي : ملتبساً بالحق سواء كان ناسخاً أو منسوخاً ، فكله مصحوب بالحق لا يعتريه شيء
من الباطل . وليثبت معناه أنهم لا يضطربون في شيء منه لكونه نسخ ، بل النسخ مثبت لهم
على إيمانهم ، لعلمهم أنه جميعه من عند ا ، لصحة إيمانهم واطمئنان قلوبهم يعلمون أنه
حكيم ، وأن أفعاله كلها صادرة عن حكمة ، فهي صواب كلها . ودل اختصاص التعليل
بالمسلمين على اتصاف الكفار بضده من لحاق الاضطراب لهم وتزلزل عقائدهم وضلالهم . وقرء :
ليثبت مخففاً من أثبت . قال الزمخشري : وهدي وبشري مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت

انتهى . وتقدم الرد عليه في نحو هذا ، وهو قوله : { لَتُبَيِّنَنَّ لَهُمُْ السَّذَى
اِخْتِلَافُوْاْ فِيْهِ } وهدى ورحمة في هذه السورة . ولا يمتنع عطفه على المصدر المنسبك من
أن والفعل ، لأنه مجرور ، فيكون وهدى وبشرى مجرورين كما تقول : جئت لأحسن إلى زيد وإكرام
لخالد ، إذ التقدير : لإحسان إلى زيد . وأجاز أبو البقاء أن يكون ارتفاع هدى وبشرى على
إضمار مبتدأ أي : وهو هدى وبشرى . ولما نسبوه عليه السلام للافتراء وهو الكذب على الله ،
لم يكتفوا بذلك حتى جعلوا ذلك الافتراء الذي نسبوه هو من تعليم بشر إياه ، فليس هو
المختلق بل المختلق غيره ، وهو ناقل عنه . وظاهر قولهم : إنما أنت مفتر . إنَّ معناه :
مختلف الكذب ، وهو ينافي التعلم من البشر ، فيحتمل أن يكون قوله : مفتر ، في نسبة ذلك
إلى الله ، ويحتمل أن يكونوا فيه طائفتين : طائفة ذهبت إلى أنه هو المفترى ، وطائفة أنه
يتعلم من البشر . ويعلم مضارع اللفظ ومعناه : المضي أي : ولقد علمنا ، وجاء إسناد
التعليم إلى مبهم لم يعين . فقليل : هو خبر غلام ورمى كان لعامر بن الحضرمي ، وقيل :
عائش أو يعيش ، وكان صاحب كتب مولى حويطب بن عبد العزى وكان قد أسلم فحسن إسلامه قاله :
الفراء ، والزجاج . وقيل : أبو فكيهة أعجمي مولى لمرأة بمكة . قيل : واسمه يسار وكان
يهودياً قاله : مقاتل ، وابن جبير ، إلا أنه لم يقل كان يهودياً . وقال ابن زيد : كان
رجلاً حداداً نصرانياً اسمه عنس . وقال حصين بن عبد الله بن مسلم : كان لنا غلامان
نصرانيان من أهل عين التمر ، يسار وحبر ، كانا يقرآن كتباً لهما بلسانهم ، وكان صلى
الله عليه وسلم (يمر بهما فيسمع قراءتهما . قيل : وكانا حدادين يصنعان السيوف ، فقال
المشركون : يتعلم منهما فقليل لأحدهما ذلك